خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

١

# الإستقامة و الإعتدال

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

# ما أَجْمَلَها من عادةٍ!!

قالتِ الفتاةُ (دانية) لِصَديقتِها (ديمة): لقدْ عَوَّدنا والدي مُنذُ سَنَواتٍ على أن نَجْتَمِعَ كلَّ ليلةٍ بعد تَناوُلِ وجبةِ العَشاءِ ، ثمَّ يطرحُ واحِدٌ من العائلةِ قَضِيَّةً ما ، أو فِكْرةً ما ، أو يقرأُ لنا والدي آيةً من القُرآنِ الكَريمِ ، ونَتَناقَشُ في مَعَانِيها ، أو يَقرأُ حَدِيثاً نَبَوياً ، أو قِصَّةً من القِصَصِ المُفِيدَةِ...

وأعْجبتْ (ديمة) بِما قَالتْهُ (دَانية) ، وقَالتْ لَها:

فَهَلاَّ نَقَلتِ لي مَا دَارَ في ليلَةِ البَارِحَةِ مَثَلاً؟

أَجلْ يا صَدِيْقتِي ، فَبَعْدَ أنْ تَنَاولْنا وَجْبَةَ العَشَاءِ ، جَلَسْنا لِنَشْربَ الشَّايَ فَكَانَ مَا يَلِي:

أَخرجتْ (روضةُ) مِن حَقِيبتِها الَّتِي تحْملُها إلى الجَامِعةِ وَرَقةً ، ثُمَّ قَالتْ:

لَقَدْ قَرأْتُ لَكُمُ اليوْمَ شَيْئاً مِنَ الهَدْيِ النَّبَويِّ ، فَمَا هُو رَأيكُم في أَنْ أقْرأَهُ عليْكُمْ؟

فَقَالَ (صُهيب): نَعَمْ ، وهَلْ هُنالِكَ هَدْيٌ خَيْرٌ مِنْ هَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟!

فَقالتْ (روضة): في سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ عن ثَوْبانَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ:

قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَقيْمُوا ولَنْ تُحْصُوا ، واعْلَمُوا أنَّ خَيْرَ أعْمالِكُم الصَّلاةُ ، ولا يُحافظُ عَلَى الوضُوءِ إلاَّ مُؤمِنٌ».

واعْتَدَلَ المُربِّي (أبو الخير) وهُو مُدرِّسُ في

إِحْدى المَعَاهِدِ الشَّرعِيَّةِ وقالَ: صَدقَ المُصْطَفى صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ ، وأَحْسنَ اللهُ خِتامنَا جَميْعاً ، وبَارِكَ اللهُ فيكِ يا (روضة).

## معَ الاسْتِقامةِ!!

وتابعَ الأسْتاذُ قولَهُ:

فالاسْتِقامةُ تَعْنِي الاعْتِدالَ والاسْتِواءَ ، وبالتَّالي فهيَ تَعْني المُلاَزمةَ والمُحافظَةَ والثَّباتَ ، ولِذلكَ وَرَدَ في مَعْنَى قولِهِ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

قَالَ الفاروقُ عُمَرُ رضِيَ اللهُ عَنْهُ: الاسْتِقامةُ أنْ تسْتقيمَ عَلى الأمْرِ والنَّهْيِ ، ولا تَروغَ - أي تَتلوَّنَ وتَتَذَبْذَبَ - رَوَغَانَ الثَّعلَبِ.

وقالَ الإمامُ ابنُ تيميَّةَ رحِمهُ اللهُ: الاسْتقامةُ كلِمةٌ جامِعةٌ ، آخذَةٌ بِمجامعِ الدِّينِ ، وهِيَ القِيامُ بينَ يديِّ اللهِ عَلَى حقيقةِ الصِّدقِ ، والوَفَاءِ بِالعهْدِ ، والاستِقامةُ تتعلَّقُ بِالأقوالِ والأفعَالِ والأحْوالِ والنِّيَّات.

وبالتَّالي فأساسُ الاسْتِقامةِ في مِيزانِ الشَّريعةِ الإسْلاميةِ هُو الاهْتِداءُ إلى طَريقَةِ اللهِ سُبحانهُ ، وإفْرادُهُ سبحانَهُ بِالعبوديَّةِ ، وعَدمِ الانْصِرافِ إلى سِواهُ ، مِصْداقُ ذَلكَ قولُ اللهِ تَعالَى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وقَولُه أيْضاً:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

ولذلكَ أرادَ الله للمُوحِّدينَ أنْ لا يَميلُوا عَنِ الصِّراطِ ، بَلْ عليهِمْ أن يَبقَوا مُستقيمينَ مُعتدلينَ ، دليلُ ذلكَ قولُه تَعالى وهُو يُخاطِبُ حَبيبَهُ مُحمَّداً ﷺ:

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

منْ أَجلِ ذلكَ أنْزَلَ اللهُ للنَّاسِ هادِياً يَدُلُّهمْ عَلى الطَّريقِ ، ألاَ وهُو كتابُ اللهِ تَعالى ، مِصْداقُ ذلكَ ما جاءَ في القُرآنِ الكَرِيمِ:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

ولاَ يَظُنُّ أحَدٌ أنَّ مسْألةَ الاسْتِقامةِ هيَ شَيءٌ سَهْلٌ وعَادِيٌّ ، أبَدَاً إنَّما هِي أَمْرٌ شاقٌّ وصَعْبٌ ، لِذلكَ كَانَ ثوابُ المُلتزمينَ بِها عَظِيماً ، مِصْداقُ ذلكَ قولُ الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

**نَسْأَلُ اللهَ تَعالَى أنْ يَجْعلَنا مِنْ أهلِ الاسْتِقامَةِ لِنفُوزَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.**

## إنَّ هَذا الدِّين يُسْر..

**فَقالتْ (روضة): وحَسَبَ دِرَاسَتي في الجَامعةِ ، فَقَدْ فَهمتُ مَا يَلي:**

**إنَّ الرَّسولَ ﷺ أرادَ منَّا مِن خِلالِ جَمْعِ مَسألةِ الاستقامةِ مَعَ مسألةِ الوُضُوءِ والصَّلاةِ**

أنْ نَفْهمَ معنى الاسْتِقامةِ بِما يُوحِي بعدمِ الغُلوِّ والمُبَالغةِ ، حتَّى في أُمورِ الدِّينِ كالوُضُوءِ والصَّلاةِ ، لأنَّ الغُلوَّ في أُمورِ العِباداتِ يُحوِّلُ الدِّينَ إلى عُسْرٍ وَتَشدُّدٍ وإفْراطٍ ، وهَذا مَعْنَى قولِ الرَّسولِ ﷺ: «ولَنْ تُحْصُوا».

وقَدْ رَوى عَمْرُو بن شُعيبٍ عنْ أبيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ: جاءَ أعرابِيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ يَسألُهُ عَنِ الوُضوءِ ، فأراهُ ثَلاثاً وقال: «هَذا الوُضوءُ ، منْ زادَ علَى هَذا فقدْ أساءَ وتعدَّى وظلَمَ».

أيْ: من زادَ عَنِ الثَّلاثِ فقدِ اعْتَدى وتَعدَّى السُّنَّةَ النَّبويَّةَ.

وقد قرأْتُ في إحدَى الكُتبِ القيِّمةِ أنَّ جميعَ العِباداتِ التَّي فَرضهَا اللهُ تَعالَى عَلى عِبادهِ ليستْ إلاَّ منْ بابِ اليُسرِ ، مصداقُ ذلكِ قولُه تَعالَى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾

[البقرة: ١٨٥].

ورَوى أنسُ بنُ مالِكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قِصةً جرتْ في بيتِ الرَّسولِ ﷺ قالَ:

جَاءَ ثلاثةُ رَهْطٍ -أيْ عددٌ منَ الرِّجالِ عَدَدُهُم ما دُونَ العَشرةِ- إلى بُيوتِ أزْواجِ النَّبيِّ ﷺ يَسألونَ عن عِبادَةِ النَّبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخبِرُوا كأنَّهم تقالُّوها[1]، وقَالوا: أينَ نحنُ منَ النَّبيِّ ﷺ وقدْ غُفِرَ لهُ ما تقَدَّمَ من ذنْبِهِ وما تأخَّرَ.

قالَ أحدُهم: أمَّا أنا فَأُصَلِّي اللَّيلَ أبدَاً.

وقالَ الآخرُ: وأنا أصومُ الدَّهرَ أبَداً ولا أُفْطِرُ.

---

(١) أي: فلما قارنوا عبادتهم القليلة بعبادة رسول الله؛ وجدوا عبادتهم قليلة جداً.

وقال الآخرُ: وأنَا أعتزِلُ النِّساءَ فلا أتزوجُ أبَداً.

فجَاءَ رسولُ اللهِ ﷺ إليهم فقالَ: «أنتمُ الَّذينَ قُلتُم كَذا وكَذا؟ أمَا واللهِ إنِّي لأخْشَاكُم للهِ وأتقاكُم لهُ، لَكنِّي أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّي وأَرْقُدُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ، فمنْ رغبَ عن سُنَّتِي فليسَ مِنِّي».

لِذلكَ فعلَى المُسلِمِ أنْ يُنظِّمَ أمورَهُ كُلَّها، فيُعطِي كُلَّ شيءٍ حقَّهُ، كما قالَ الرَّسولُ ﷺ: «إنَّ لِجسدكَ عليكَ حقّاً، وإنَّ لعينِكَ عليكَ حقّاً، وإنَّ لِزوْجِكَ عليكَ حَقّاً، فأَعْطِ كُلَّ ذِي حقٍّ حقَّهُ».

أسألُ اللهَ أنْ يجعلَنا نفْهمُ حقيقةَ هَذا الدِّينِ؛ لِنبْتعدَ عَن التَّشدُّدِ والتَّعسِيرِ...

## الصَّلاةُ.. الصَّلاةُ

وأشارَ الأُستاذُ إلى وَلَدِهِ (جميل) أنْ يُشاركَ في هذَا النِّقاشِ الشَّيِّقِ، فَحاولَ (جميل) الاعْتِذارَ عَلَى أسَاسِ أنَّهُ يعملُ في مجالِ التِّجارةِ، لكنَّ والدَهُ أصرَّ قَائلاً: اشرحْ لنَا ما تَعرفُه عنِ الصَّلاةِ.

فَالرَّسولُ ﷺ يقولُ في الحَديثِ الشَّريفِ: «واعْلَمُوا أنَّ خيرَ أعمالِكُم الصَّلاةُ».

فقالَ (جميل): لَقدْ أمَرَنَا اللهُ تَعالى بِالمحافَظةِ عَلى الصَّلواتِ من زاويةِ أنها الرُّكنُ الثَّاني مِن أرْكانِ الإسلامِ، وبالتَّالِي فهيَ الحَدُّ الفاصِلُ بينَ الإيمانِ والكُفرِ، ولَها أهمِّيةٌ كُبرى، وقَدْ حَفِظْتُ مِن خُطبةِ الجُمعةِ قَولَ الرَّسُولِ ﷺ: «لا إيمانَ لِمنْ لا أمانةَ لهُ، ولا صَلاةَ لِمنْ لا طُهورَ لهُ، ولاَ دِيْنَ لِمَنْ

لاَ صَلاةَ لهُ ، إنَّما موضِعُ الصَّلاةِ مِنَ الدِّينِ كَموضِعِ الرَّأسِ منَ الجَسدِ».

وقدْ شدَّدتِ الشَّريعةُ الإسْلاميَّةُ في مسْألةِ تَركِ الصَّلاةِ ، وخاصةً عَنْ عَمْدٍ ، إلى دَرجةِ أنَّها اعْتبرتْ منْ يعملُ ذلكَ كَافِراً مُرْتدَّاً عنِ الإسلامِ!!

مِصداقُ ذَلكَ قولُ رسولِ اللهِ ﷺ:

«العهدُ الَّذي بَيْنَنَا وبَينهُم الصَّلاةُ فمنْ تَركَها فَقَدْ كَفَرَ».

وكما هو معروفٌ ، فالصَّلاةُ في المَسجدِ أفضلُ منَ الأماكنِ الأُخرى ، والصَّلاةُ مَعَ الجَماعةِ أفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَردِ مُفرِداً ، مِصداقُ ذلكَ قولُ الرَّسولِ ﷺ: «صلاةُ الرَّجلِ في جماعةٍ تَضعفُ عَلى صَلاتِهِ في بيتهِ وفي سُوقِهِ خَمْساً وعِشرينَ ضِعْفاً.وذلكَ أنَّه إذا توضَّأ فأحْسَنَ الوُضوءَ ، ثُمَّ خرجَ إلىٰ المسجدِ لا يُخرِجُهُ إلاَّ

الصَّلاةُ: لَمْ يَخْطُ خُطوةً إلاَّ رُفِعتْ لَهُ بِها درجةٌ، وحُطَّ عنهُ بِها خَطيئةٌ، فإذا سلَّم لَمْ تَزلِ الملائِكةُ تُصَلِّي عَليْهِ ما دَامَ في مُصلاَّهُ مالم يُحْدِثْ[1]. ، وهِي تَقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَليهِ، اللَّهُمَّ ارْحمْهُ، وَلا يَزالُ في صَلاةٍ ما انتَظَرَ الصَّلاةَ».

## الوضُوءُ سِلاحُ المُؤمِن!!

وأرادتِ الأُمُّ أنْ يكونَ كَلامُها خِتامَ الجَلسةِ، فقالتْ:

ثُمَّ خَتمَ الرَّسولُ ﷺ هَدْيَهُ بالقولِ: «ولا يُحافظُ على الوضُوءِ إلاَّ مؤمنٌ» وذلكَ لأنَّ الوضوءَ يُكفِّرُ الذُّنوبَ، ويَرفعُ درجةَ العبْدِ، ويُضاعفُ الأجرَ، ويجعلُ المُؤمنَ في

---

(١) أي: مالم ينقض وضوءه.

اسْتِمرارِيةِ العبادةِ ، مِصداقُ ذلك قولُ الرَّسولِ ﷺ:

«إذَا توضَّأ العبدُ المُسلمُ أو المُؤمنُ فَغَسلَ وجهَهُ: خَرجتْ من وَجْهِهِ كُلُّ خطيئةٍ نَظرَ إليها بعينهِ في الماءِ أو معَ آخر قطرِ الماءِ ، فإذا غسلَ يَديهِ: خرجتْ مِن يديهِ كُلُّ خطيئةٍ بَطَشتْها يَداهُ معَ الماءِ أم معَ آخرِ قطرِ الماءِ ، فإذا غَسلَ رِجْليهِ خرجتْ كُلُّ خطيئةٍ مَشَتْها رِجْلاهُ معَ الماءِ أو مَعَ آخرِ قطرِ الماءِ ، حتَّى يخرُجَ مِنَ الذُّنوبِ».

نسألُ اللهَ تَعالى أنْ يُحبِّبنا إلى كُلِّ ما يُرضِيهِ عنَّا ، وأنْ يجعلَ في أقوالِنا وأعْمالِنا الإخلاصَ ، إنَّهُ الغفورُ الرَّحيم ، والحمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ.

فقالتْ (ديمة): آهٍ مَا أجملَ هَذِهِ العادةَ فقد

اسْتفدْتُم جَميعاً مِنْ خِلالِ اطِّلاعِكُم على جَانبٍ مـنَ الـهَـدْيِ النَّبَـويِّ ، وأَتَمنَّـى أنْ تَنقُلـي إلـيَّ ما يَحدُثُ في تِلكَ الجَلساتِ والسَّهراتِ الحَسَنَةِ المُفِيْدَةِ..

ثُمَّ افْتَرقتِ الصَّديقتانُ (ديمة) و (دانية) عَلى أملِ اللِّقاءِ الجَديدِ..

والسَّلام عَليكُم ورَحمةُ اللهِ وبَركَاتُهُ.

والحمْدُ للهِ ربِّ العَالمينَ